

كان العلامة سكيرج رحمه الله ورضي عنه من أوائل الأعلام المغاربة المدعويين لحضور تدشين مسجد باريس في صيف عام 1344هـ-1926م، وهو الذي خطب وصلى بالناس في أول جمعة بالجامع المذكور، حيث اجتمعت لمعاينة تدشينه شخصيات بارزة من مختلف بقاع المعمور، يتقدمهم السلطان السابق مولانا يوسف رحمه الله، ولا بأس أن أذكر في هذا المحل نص الخطبة التي ألقاها العلامة سكيرج بالمناسبة على أسماع الحاضرين (1) :

نص الخطبة :

الحمد لله ذي النعم الوافرة، والرحمة الساترة، والعقوبات القاهرة يفعل ما يشاء بالاختيار، نحمده حمدا نسعد به في هذه الدنيا والآخرة، ونقهر به الهوى والشيطان والنفس الأمارة بالساحرة، حتى نكون إن شاء الله من الأبرار، وأقر له بالتوحيد على عقيدة ظاهرة ظاهرة، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد المؤيد بالمعجزات الباهرة، المحبوب السيد الملجأ المختار، وعلى آله وأصحابه ذوي الأيادي المتكاثرة، والآخذين بالعدل لشريعته السامية الأمرة، فنعم المهاجرون ونعم الأنصار.

أما بعد : فيا عباد الله إن من نعم الله علينا بناء هذا المسجد الذي نحن فيه متوجهون لربنا الكريم لأداء الصلاة المفروضة، فسبحانه من إله رحيم لا يكون إلا ما خصصته إرادته، ولا يبرز للوجود إلا ما أنجزته قدرته، فطوبى لمن وحده وذاق حلاوة تصرفه في الكائنات، وبشرى لمن اهتدى للخير وفر من الموبقات، فتنبهوا يا إخواني لما أنتم فيه اليوم، أنتم في مسجد رب العالمين

(1)

أنتم في مسجد تقام فيه شعائر الدين، أنتم في محل البركات والخيرات، أنتم في مسجد يضاعف فيه أجر الطاعات، أنتم في مسجد ينتبه به الغافلون للصلاة، أنتم في مسجد لذكر الله والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنتم في مسجد سيكون سببا في نشر فضائل الدين حتى يعم الائتلاف المسلمين وغيرهم من المجاورين، أنت في مسجد هو مرشد للقادم الغريب وللحاضر الشارد كالطبيب.

فلا تبخلوا رحمكم الله وأعانكم بما له عليكم، فإسان حاله يقول : لا تهملوني حقي، حقي عليكم وإليكم، فهنيئا لمن مات ولم تمت حسناته، وعمل صالحا فماتت سيئاته، فتمتعوا أيها المسلمون بالحرية في دينكم، واسعوا للخير، وافعلوا الخير واجتهدوا فيما ينفعكم، وكونوا إخوانا محاربين للجهل والعادات المذمومة، ولا تقسدوا عقولكم بالخمور، ولا تدنسوا أعراضكم بالفجور، ولا تتركبوا العار، اجتنبوا الزنا والقمار، ولا تقتلوا أنفسكم بالقنوط والكسل، ولا تتأخروا عن العلم والعمل، سيروا إلى الأمام، ارحموا الفقراء والمساكين والأيتام، لا تسمعوا كلام الدجالين، لا تقبلوا أقوال المفسدين، لا تفرطوا في تربية أولادكم، لا تقتلوا شرف دينكم بالخسائس أمام جيرانكم.

أيها المسلمون هذا دينكم يناديكم فهل من مجيب مع اعتناء منكم، أيها المسلمون إن السعادة التي يتنافس فيها المتنافسون هي العلم والأخلاق الكاملة وقراءة ما سطر الله في الكائنات من الحكم، أيها المسلمون إن المؤمن هو الذي يغرس الود في فؤاد غيره مطلقا ويسقيه دائما بماء الإنسانية، فاجمعوا رحمكم الله بين الدين والدنيا وسيروا سير أهل الكمال، وشاركوا غيركم فيما يحمد، فقد قتلتم أنفسكم بأيديكم من حيث لا تعلمون، وصرتم في غاية الانحطاط، أما تشعرون أن العلم يتبعه كل خير وكمال، وأن الجهل لا يفارق صاحبه الهمة والنكال، ولا ترفع الأمة إلا ببذل المال، في جميع أصعدة هذا المجال، فبرهنوا على أنكم رجال.

وقفني الله وإياكم لما فيه خير الأمة، بجاه المصطفى المبعوث لكشف الغمة، روى البيهقي في السنن الكبرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبدا، واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غدا، صدق رسول الله، صدق حبيب الله، ألا إن أفضل كلام تتعظ به قلوب المومنين كلام مولانا واسع الرحمة والعطاء في كل حين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

نص الخطبة الثانية :

الحمد لله الواجب الوجود والقدم، الباقي تعالى عن أن يلحقه عدم، المخالف للحوادث بالإطلاق كلها، القائم بنفسه جل عن أن يفتر كالصفة ومحلها، المنفرد بالوحدانية ذاتا وأفعالا وصفات، القديم بقدرة تعلقت بجميع الممكنات، المرید كما شاء فلا يقع غير مراده، العالم بتفاصيل ما خلق قبل إيجاده، الحي بلا روح كما هو المؤلف، السميع البصير المتكلم بلا صوت وحروف، نحمده حمدا يليق بذاته التي لا تشبه الذوات، ونشكره على نعمت جميع المخلوقات.

وبعد فمن أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى، فليكثر من الصلاة على النبي المصطفى، اللهم صل على هذا النبي الكريم، صاحب الخلق العظيم، وسلم تسليمًا، وارض اللهم عن آل بيته الطيبين، وعشيرته الأقربين، الذين قال فيهم نبيك الصادق الأمين : والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم الله ولقرابتهم مني.

اللهم انفعنا بمحبتهم، واحشرنا يا مولانا في زمرتهم، ولا تخالف بنا عن نهجهم وسبيلهم يا أكرم مسؤول، ويا خير مأمول، وارض اللهم عن أصحابه الأعلام، أنصار الملة والإسلام، وخصوصا منهم الخلفاء الكرام، ذوي المجد الشامخ، والفضل الباذخ، سادتنا وموالينا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن التابعين وتابعيهم إلى يوم الدين، وأيد اللهم من أيد الملة الحنيفية، وأحي من أحيا السنة المحمدية، ونجنا من الفتن الدنياوية والأخروية إنك على شيء قدير.

وانصر اللهم راجي عفوك وبرك وخيرك، مجمع الشرف الديني والطيني، بضعة الرسول المطهر الفروع والأصول، السلطان بن السلطان المعظم، الذي شرف بحضوره افتتاح هذا الجامع في أول جمعة، أبي المحاسن سيدنا ومولانا يوسف بن مولانا الحسن، وكن الله له وليا ونصيرا، وأصلح الله به وعلى يديه، ووقفه للخير وأعنه عليه، واجعله اللهم لأنعمك من الشاكرين، ولآلائك من الذاكرين، وعلى رعيته من المشفقين، إنك على كل شيء قدير، يا أرحم الراحمين، يا رب قست قلوبنا، وكثرت ذنوبنا، وطالت آماننا، وفسدت أعمالنا، وعم تكاسلنا، وقوي على العصيان هجومنا، ولا مشتكى لنا إلا إليك، اللهم ارحم تضرعنا، اللهم أمن خوفنا، اللهم تقبل أعمالنا، اللهم اصلح أحوالنا.

ربنا أنت منقذنا لا سواك، وهل سواك يفرج كربتنا، قد واعدت بأن من دعاك يجاب، وحشاك تتركنا، ربنا كل ذنب إلى جنب عفوك ليس شيئا إذا شئت أن ترحمنا، ربنا إن فعلنا قبيحا فأنت الغفور بفضلك تسترنا، ربنا قد قصدنا باب رحمتك وأنت الكريم وما لغيرك فقرنا، ربنا أنت الملاذ إذا ضاقت الأحوال وانقطعت آماننا، ربنا إن عفوت ففضل، وإن فعلد، وأنت الرؤوف بنا، اللهم ألف بين قلوب العباد، واسلك بالجميع سبيل الرشاد، مولانا إياك سألنا، وما عندك من خير طلبنا، فاقبل اللهم بوجهك الكريم علينا، واعطنا سؤلنا ولا تخيب فيك رجاءنا، واجعل اللهم جمعنا هذا جمعا مباركا مرحوما، وتفرقنا منه تفرقا سالما معصوما، ولا تجعل فينا ولا منا ولا معنا شقيا ولا محروما، يا من عجز عن وصف كنهه الوصفون، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

تمت

والعلامة الحاج أحمد سكيرج هو ناظم القصائد والأبيات الشعرية التي نقشت داخل وخارج المسجد المذكور، ولا بأس أن أذكر ضمن هذا البحث الوجيز بعضا من هذه القصائد إفادة لكل من يهيمه الأمر من باحث أو مطالع، وذلك رجاء دعوة سالحة من أخ صادق منصف.

ما كتب على الركن الأيمن من الباب الأعظم

يا قاصدا نحوي قف وقفة
ونزه المقلة في بهجتي
فإنني للحسن مستكمل
وكل ذي رأي مصيب يرى
يكفي الذي قد جاءني زائرا
وانظر إلى صني بعين اللبيب
وما تجلى من جمالي المهيب
ينشرح الصدر بشكلي العجيب
أني قد فقت بصنع غريب
نصر من الله وفتح قريب

ما كتب على الركن الشمالي من الباب الأعظم :

قف وانظر الصنع الذي قد بدا
قد رقم (2) الصناعات في حلتي
فامتزت عن غيري بما أبدعوا
لله ما في شكله منطو
واشكر من اهتموا به واعتنوا
في طلعتي تشهد بهاء العجيب
خمائل الأزهار صنع الأريب
من حسن تتميق وقظم غريب
من كل خير فيه أوفى نصيب
جزاهم الخير الإلاه المجيب

وما كتب أيضا :

يا زائري قد نلت في
فأجل جفونك في الذي
من منظر أوضاعه
فكأنما أرقامه
فجرى حديث جماله
واغنم سرورك مهديا
ولك المفاز بزورة
ظلي الرعاية والمنى
أبهجت فيه الأعينا
حوت (3) الصنيع الأحسنا
زهر يزين الأغصنا
بجميع أقطار الدنيا
لمؤسسي حسن الثنا
دارت على فلك الهنا

ما كتب وسط الباب :

إن هذا مسجد للمسلمينا
مسجد أسس في باريز ما
مسجد أنحاء زادت سنى (4)
فيه الأفكار تزهو (6) دائما
مسجد قد حاز شكلا جامعا
فتحت أبوابه للعابديننا
مثله من مسجد للناظرين
وسناء (5) يزدهي طول السنينا
وبه البشرى لكل المومنيننا
لجميع الحسن بين العالمينا

(2)

(3)

(4)

(5)

(6)

فلسان الحال منه قائل
روضة من جنة قد برزت
فلكم في ظله نيل المنى
قد سمت أركانه واتسقت (7)
أبدعوا في الصنع ما شاعوا وقد
فاشهدوا الحسن الذي فيه بدا
قد غدا في الحسن لا مثل له
فيه الأنفس تحيا وبه
فهنيئنا للذي شيده (9)

ما كتب عن يمين مدخل أسطوان الصحن :

أهلا بكم يا زائرين لمسجد
هذا المقام به السعادة ختمت
فيه الأمانى والمنى مجلوة (10)
فلتطمئن صدوركم بورودكم

ما كتب عن يسار مدخل أسطوان الصحن :

أهلا بكم يا سادة فلتدخلوا
من كل حسن لا يزال مرونقا (13)
لو كان ينطق باللسان سمعتم
لكم الهنا يا زائرين بنيل ما

ما كتب في دائرة الصحن :

متع لحاظك في محاسن معهد
هو معهد لكنه في زينة
هو بهجة للناظرين وروضة

إن هذي روضة للزائرينا
ادخلوها بسلام آميننا
ولكم فيه الهنا ديننا وديننا
وازدهت من حسن صنع الصانعينا
أظهروه فتنة للعاشقيننا
وانظروا في صنعه النصح المبيننا
مرغما فيه أنوف الحاسديننا
يشرح الأنس صدور الوارديننا (8)
وهنيئنا لكم يا مسلمينا

قد فتحت أبوابه للقصد
من حل فيه يحل أرفع مصعد
مثل العروس بدت بأجمل مشهد
وصدوركم (11) فلكم كمال السوود

لتشاهدوا ما في السوى (12) لم يشهد
قد شيد مثوى طاعة للعبد
منه الترحب مثل قول المنشد
رتم جميعا من كمال المقصد

يسبي (14) العقول بحسنه المتعدد
وفخامة في غيره لم تعهد
تحي القلوب بروحها المتورد

- (7) :
(8) :
(9) :
(10) :
(11) :
(12) :
(13) :
(14) :

للزائرين وجنة للعبد
 وإليه يطلب عودة إن يبعد
 لم لا وفيه هداية المسترشد
 إتقانها لجماعة ولمفرد
 أبهى مكان للفتى المتعبد
 للحسن حتى صار أحسن معبد
 بجميع ما يحتاج كل القصد
 وجميل تنظيم وطرز جيد
 شكرت لأيديهم بها كم من يد
 وضيائها من حسنه المتوقد
 وكسته (16) بهجة نورها المنقرد
 من حسن طلعتة كمال تورد
 منه البهاء حقيقة في المصعد
 منه بشكل في علاه مجدد
 فبدا بأوجهه سناء المشهد
 طابت به أنفاس كل موحد
 في رونق وكمال سعد مسعد
 مشهودة في حسنها لم تجحد (20)
 جمعت مزايا في السوى لم تشهد
 بذوي الهداية للمحج الأقصود
 بالمسلمين برغم أنف الحسد
 فرضا ونفلا في أتم تعبد
 وفق الذي يقضيه شرع محمد
 بل فيه أعظم أسوة للمقتدي
 عند الموحد والمحق المهتدي
 فيه بحالة خاشع مسترفد
 قلبا وقم فيه بحسن تهجد

هو مشهد للواردين وملجأ
 يسلي (15) غريب الدار عن أوطانه
 أكرم به من مسجد بهر النهى
 فيه تقام عبادة الرحمان في
 قد شيدت أركانه بالجد في
 يا حسنه من معهد مستجمع
 قد صار في إتقانه متكفلا
 جمع المحاسن في بدائع صنعة
 قد أودع الصناعات فيه عجائبا
 فكأنما الشمس استعارت حسنها
 وكأنه أهدى لها أنواره
 وكأنما بدر التمام قد اكتسى
 فأعاره بسعوده وصعوده
 رقم الجمال خطوطه في أوجه
 وعليه قد نشر (17) القبول لواءه
 وأناخ (18) في أكنافه الأئس الذي
 في كل وقت حسنه متزايد
 وتوفرت فيه خصائص جملة (19)
 كملت (21) محاسنه التي في طيها (22)
 قد خصصته يد العناية دائما
 واختص من أولي الديانة في الورى
 فيه يأدون الصلاة لربهم
 وجميعهم يقضون فيه مرامهم
 ما فيه شيء حائد (23) عن نهجه
 والله عظمه فكان معظما
 فادخل إلى بيت الصلاة وأدها
 وإذا جلست به فكن ممن صفوا

- (15) :
 (16) :
 (17) :
 (18) :
 (19) :
 (20) :
 (21) :
 (22) :
 (23) :

وادع الإله بما تحب فإنه
واسأله ما ترجوا تتله فإنه
ولتدع للقوم الذين به اعتسوا
من أيديهم في الوجود عناية
نهضوا بأحسن نهضة جمعتهم
سلكوا سبيل الرفق حتى ألقوا
فليختر الإسلام حيث يرى له
ولتبتهج نفس الموحّد إذ بدا
وليفرح المتدينون بدينه
ولأهله في أرض باريز غدت
فيكون فيه لهم أجل تعارف
ويكون فيه لهم مزيد تواصل
وتزول عنهم وحشة (26) من غربه
وتراهم فيه على بسط الهنا
فليحمدوا الله الذي أولاهم
ولهم بباريز لدا أولي النهى
ولهم جميل الصنع فيما أظهروا
فعلى ذوي الإسلام أن يستكثروا
ليبرهنوا عن صون دينهم الذي
وليقنّوا بنبيهم فنبيهم
فالمسلمون لهم كمال سعادة
فهم به قد أسعدوا بمناهم
وليرضعوا ثدي المعارف بينهم
وليشكروا المولى على إنعامه
فقد ازدهت أرجاء مسجدهم وقد
وليشهد الزوار إن حلوا به
فلقد تنور أفقه بالكهربا

سبحانه يجدي الغنا للمجدي
رب الإجابة فضله لم ينفد
إذا شيده على الأساس الأيد
حتى أشادوه بحسن تعهد
حتى اهتدوا لطري فتح الموصد (24)
بين القلوب فسعدوا بالمقصد
شرف تصاعد في مطالع أسعد
في أرض باريز مبرز مسجد
فالدین دین الحق بان لمن هدي
تجلى (25) شعائره بأرفع مقعد
وتمام عز بالدوام مخلد
ويكون فيه لهم أكيد تودد
بعظيم أنسهم بهذا المسجد
وكمال أفراح وعيش أرغد (27)
أسنى الأمانى في أمان منجد
وصف اعتبار بالقبول مؤيد
لهم من الإسعاد والخلق الندي
من ألفة أبوابها لم تسدد
هو في طريق الهدى أحلى مورد
يدعو لنهج الحق غير مشدد
فلتقتقوا (28) في السير سيرة أحمد
فليعرفوا حق الكريم المسعد
في معهد هو للفلاح ممهد (29)
ولهم به نيل الهناء السرمدي
كملت به أدواته للوفد (30)
أنواع أضواء به لم تخمد
فحكى تشابك فرقد في فرقد (31)

- (24) :
(25) :
(26) :
(27) :
(28) :
(29) :
(30) :
(31) :

ولسان حاله صار ينشد مرحبا
هذي جنان فتحت أبوابها
ولتنظروا من حوله ما زاده
لله در مؤسسيه فإنهم
ما كان يرجى مثله في موطن
من لي بأرض مثل باريز يرى
طلب المحال من ابتغى مثليهما
وقد انتهت بهما المحاسن فانتهى
وعلى الرسول تحية لا تنتهي
ما قال من وافى لهذا المسجد
بالوفد من مستبشر مستوفد
فاندخلوها ظافرين بسودد(32)
حسنا بديعا في السوى لم يوجد
ما قصروا في صنعه المتفرد
ودليل ما قد قلته للمنشد
فيها مشيدا مثل هذا المسجد
لم لا وقد خصا(33) بما لم يجحد
وصفي بشمس أرخت للمهتدي
وعلى ذويه ومن بكل يقتدي
متع لحاظك(34) في محاسن معهد

ما كتب في مدخل المسجد المفروش

ادخل إلى هذا المقام فإنه
فإذا دخلت وجدت قلبك حاضرا
بيت الصلاة وطاعة الرحمان
متيقنا بالفوز والغفران

وكتب كذلك

هذا المقام به يباهي عصركم
بيد العناية أبرزته منمقا(35)
ما كان قبلكم من الأزمان
في جنة الدنيا لأولي الشأن

وكتب كذلك

ولقد سمت(36) أركانه وتشعشت
لله در القائمين بصنعه
أنواره فعلا على كيوان
فلهم به فخر على الأقران

وكتب على باب الحمام

إن هذا الحمام يشفي السقيما(37)
فاروي من مائه صحيح بخار
وبه يشقي الذي ينقي(38) ما
وانتهج مسلكا له مستقيما

وكتب كذلك

هذا محل الوضوء للمصلينا
ففيه تُلْفِي(39) بيوتا في نظافتها
فادخل إذا رمت تطهيرا وتحسينا
قد زادها الماء تميقا وتزيينا

: (32)
: (33)
: (34)
: (35)
: (36)
: (37)
: (38)

وكتب على الباب الموصل من البستان للمسجد

روحها منعش(40) لكل جنان
في معاليه فوق كل المباني
صار ما مثله يرى في العيان
وبه حلت المنى والأمانى
وغدا في مسرة وأمان
ابتهاجا به تحق التهاني
شيد في باريز بأبهى مكان
فيه الخير تم طول الزمان

هذه الباب فتحت في جنان
فهي تقضي(41) لمسجد قد تسامى
مسجد حسنه تكامل حتى
مسجد جامع لكل المزاييا
كل من حل فيه نال قبولا
خص بالمسلمين فازدان وازداد
فهنيئا للمسلمين به إذ
وهنيئا لسادة شيدوه

: (39)
: (40)
: (41)